

شمعدان جامع الجديد بمدينة الجزائر

دراسة وصفية فنية تحليلية

د. هجيرة تمليكشت

معهد الآثار - جامعة الجزائر 2

مقدمة:

تعتبر الشماعد من بين وسائل الانارة التي عرفت اهمية خاصة في حياة الافراد و المجتمعات ،يعود استعمالها الى فترات موعلة في القدم، كما عرفت استعمالا واسعا خلال العهد الاسلامي ، حيث شملت مختلف المرافق.سنحاول من خلال هذه الدراسة المتواضعة تسليط الضوء على شمعدان محفوظ حاليا بحجرة الإمام الجامع الجديد بمدينة الجزائر، ينسب لنفس الجامع وهذا ما نبيه الكتابة الوقفية التي نفذت على شماعته ، ويعود الفضل للأستاذة الفاضلة الأستاذة الدكتورة نورة بن بلة التي دلتنا عليه ووجهتنا لدراسته، فلها منا جزيل الشكر و الامتنان .وقبل دراسته يتعين علينا تقديم نبذة وجيزة عن الجامع الجديد.

لمحة عن الجامع الجديد و موقعه:

بني هذا الجامع في مكان مدرسة بوعنان، وشارك في بنائه العسكر على نفقة منظمة سبل الخيرات، وذلك سنة 1070هـ/1660م¹، ويتضح ذلك من خلال الشريط الكتابي المنفذ على الجص والمثبت بطريقة أفقية على يسار المحراب ،نصه:

" الحمد لله وحده من يتعرف بسبب طلوع المسجد وكيله الحاج حبيب وتماحه في سنة 1070"² و"الحاج حبيب" الذي ذكر في الكتابة الأولى هو بدون شك مدير الأشغال³.فالجامع أنشئ من طرف وكيل جمعية خيرية عرفت لدى العثمانيين بالجزائر بجمعية سبل الخيرات التابعة للمذهب الحنفي.* بمساعدة الجنود الأتراك الذين شاركوا في عملية البناء، وهذا ما تدلنا عليه كتابة على لوح رخامي يوجد أعلى واجهة الباب الرئيسي الغربي من المسجد نصها كالتالي: "وأنه بعون الله تبارك وتعالى تم

¹ خيرة بن بلة نانم، المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني،موفم للنشر،2015،ص162

² --Dokali (R), Les mosquées de la période turque à Alger, SNED, Alger, 1974, p36.

³ - بوروية رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1399هـ/1979م، ص 127.
* - كانت هذه الجمعية تتبع المذهب الحنفي، وأنشئت لتسيير شؤون الأوقاف، وأهم ما تقوم به الجمعية التكفل بالمساجد الخفية وتجهيزها وصيانتها ونظافتها، إلى جانب مساعدة الفقراء الأحناف، وتسيير شؤون الأوقاف من مساجد وغيرها وقد كان من بين المساجد المسيرة تحت إدارتها (الجامع الجديد، جامع الصفر، جامع كمشاوة، الجامع البراني ذات المذهب الحنفي.

أنظر: Devoulx(A), Les edifices religieux de l'ancien Alger, p1356136 -

في عهده الزاخر، بناء هذا المسجد والله يسد خطى جنودها المنتصرين، ويجازى كل واحد منهم بألف جزاء".⁴

يعد هذا الجامع من أروع وأجمل ما خلفته لنا الهندسة المعمارية الجزائرية خلال العهد العثماني مقارنة مع المساجد الأخرى⁵. وقد نسجت حوله أسطورة غريبة، مفادها أن من وضع تخطيطه كان من الأسرى النصارى وأجبره المسلمون على بناء المسجد فقرّر في نفسه أن يبنيه على شكل صليب، وكانت النتيجة قتل الأسير وبقاء المسجد قائم على شكل صليب لاتيني⁶. بمجيء الفرنسيين غيروا اسم الجامع الجديد إلى جامع الصيد البحري أو السماكين " la pêcherie " واستولوا على أوقافه الكثيرة التي كانت تشرف عليها مؤسسة (سبل الخيرات الحنفية)، وغيروا من الواجهة البحرية للجامع تماما، و لحسن الحظ أن الشمعدان موضوع دراستنا مازال محفوظا به.

تعريف الشمعدان:

كلمة تتكون من شقين "شمع" وهي كلمة شائعة ومعروفة، و"دان" كلمة فارسية معناها منارة⁷. وعلى ذلك فإن الشمعدان هو منارة تزين على هيئة عمود ويرتكز عليها الشمع حين اشتعاله للاستضاءة به⁸، ويطلق على الشمعدان كلمة منارة⁹، وهي مصنوعة من النحاس أو البرونز ونادرا ما تصنع من الفضة، وقد كانت تسمى في الجزائر باسم حسكة¹⁰. وظيفتها تزيين المنازل والقصور، أما في المساجد فقد جرت العادة أن يوضع شمعدانين كبيرين على جانبي المحراب، كما يكثر استعمالها في الأفراح.

تاريخ الشمعدان: لقد ارتبط ظهور الشمعدان بمادة الشمع التي اخذت تشق طريقها جنبا الى جنب مع المشاعل و المسارج حيث تطلب استعمالها عمل "الشمعدان" ولعل أقدم إشارة تفيد في استعمال الشمعدان "هي أن النبي موسى عليه السلام كان قد أمر بعمل شمعدان من الذهب لوضعه في الهيكل

⁴ - Colin(G), Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algerie,département d'Alger,Ernerst leroux,Editeur,Paris,1901 , p52.

⁵ وهيبة خليل، أطلس المعالم الدينية الإسلامية بمدينة الجزائر جرد وإحصاء،ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 111.

⁶ - سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 33.

⁷ الجوهري(ت 393هـ)،**الصحاح في اللغة والعلوم**، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1974م، ص 686.

⁸ محمد رزق عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، مصر 2000م، ص 166

⁹ آمال أحمد العمري، **الشماعد المصرية في العصر العربي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة القاهرة، 1974م، ص 17.

¹⁰ -Eudel P., **Dictionnaire des bijoux de L'Afrique du nord**, Ernest Leroux, Paris, 1906 ,p71.

وقد كان هذا الشمعدان يتكون من قاعدة عليها عمود طوله حوالي ستة¹¹ أذرع*، كما يخبرنا ابن خلدون عند حديثه عن بيت المقدس يقول: ".... وذلك ان موسى عليه السلام، لما خرج ببني اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس،... أمره الله تعالى باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحي مقدارها وتماثيلها، ويكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ومنارة بقناديلها¹². و يقصد هنا وسيلة انارة كبيرة بشموعها ربما نفس الشمعدان السابق ذكره.

ويذكر أن سيدنا سليمان عليه السلام وضع في معبده عندما بناه عشرة شمعدانات من الذهب كل خمسة منها على جانب من جانبي المكان المقدس وحملت تلك الشمعدانات ضمن ما حمل من الأشياء المسلوقة إلى روما عندما خرب الإمبراطور تيتوس* بيت المقدس¹³.

وقد تطور شكل الشمعدان في العهدين اليوناني والروماني تطورا ملحوظا إذ أصبح يصنع على هيئة قضيب معدني مصمت ذي طرف مدبب تغوص فيه الشمعة انتهى الإنسان إلى عمل شمعاد لها فوهة أو تجويف توضع بداخلها الشمعة¹⁴، أما الشمعدانات الإسلامية فأكثرها انتشارا ما كان مكونا من قاعدة على هيئة هرم ناقص و في وسطها من أعلى عمود اسطواني قصير ينتهي من اعلى بالشماعة¹⁵، وقد برع المغاربة في صنع الشمعدانات وتفوقوا تفوقا كبيرا في انتاجها، وهي تعكس فلسفة وجمال الفن المغربي الأندلسي¹⁶. اما بالجزائر خلال العهد العثماني فقد تعدد استعمالها و تطورت شكلا و مادة حيث استعملت في صناعتها مادة الفخار الى جانب المعادن باختلافها من النحاس و البرونز و القليل منها صنع من الفضة، ومهما اختلفت أشكال الشمعاد فهي تتكون من أربعة عناصر أساسية تتمثل في: القاعدة_البدن_الشماعة و عادة ما نجد البدن يتوسطه صحن لاستقبال الشمع الهالك.

11 HUGH CHISHOLM. **ENCYCLOPEDIA BRITANNICA: A DICTIONARY OF ARTS, SCIENCES, LITTÉRATURE AND GÉNÉRAL INFORMATION.** "ART CANDLESTICK", VOL. 5. 11EME ÉDITION, CAMBRIDGE 1910; P740.

* _الذراع: ست قبضات، والذراع ما يدرع به، وهي وحدة للطول يُراد بها في الأصل طول ذراع الإنسان للقياس، وهي تعادل 50سم. انظر: د. رجب عبد الجواد ابراهيم، **الفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي**، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2003م، ص 188.

12 عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبروديان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ/1992م، ص 377

* _الإمبراطور تيتوس: (تيتوس فيلافيوس فاسباسيانوس – TITUS FLAVIUS VESPASIANUS) ثاني امبراطور السلاله الفلافيانية التي حكمت الامبراطورية الرومانية بين 69 و 96 م، حكم بعد والده تيتوس فسبسيان بين سنتي (79—81 م). أنظر:

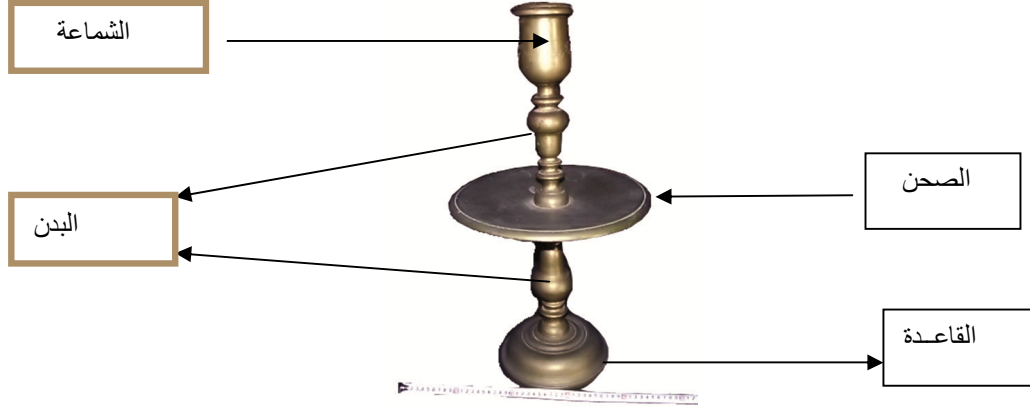
LASSER (J.M), **MANUEL D'EPIGRAPHIE ROMAINE**, TII, ED, PICARD, PARIS, 2005, P 1005 .
13 HUGH CHISHOLM. OP. CIT. P779.

¹⁴ _مايسة داوود، **المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، القاهرة 1971م، ص 55.

¹⁵ الجوهري(ت393هـ)،**الصحاح في اللغة و العلوم**، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1974، ص 686.

¹⁶ Terrasse(ch), **Le Mobilier liturgique Mernide**, in (B.A.M), TX, Rabat, 1976, P198.

وصف شمعدان الجامع الجديد:



الصورة رقم: 38 أجزاء الشمعدان.

القاعدة: يقوم عليها الشمعدان وهي قمعية الشكل.

البدن: وهو عبارة عن عمود اسطواني يمتد من القاعدة لغاية الشماعة عادة ما يتراوح بين البروز والضمور و يمثل في آن واحد حامل الشمعدان.

الشماعة (موضع الشمعة): وهو الموضع المخصص لثبيت الشمعة.

الصحن: مستدير الشكل مخصص لاستقبال الشمع الهالك اثناء الإشتعال.

بطاقة فنية للشمعدان:

اسم التحفة: شمعدان.

مكان الحفظ: الجامع الجديد بمدينة الجزائر.

مادة الصنع: البرونز.

المقاسات: ار: 85 سم _ ق الشماعة: 5,6 سم طول الشماعة: 11 سم ق الصحن: 34 سم ق القاعدة: 5,21 سم

المصدر: وقف (واقفة السيد علي خزناسي لصالح الجامع).

التأريخ: عثماني

طريقة الصنع: القالب و التلحيم.

تقنية الزخرفة: الحز.

حالة الحفظ: حسنة.

الوصف: شمعدان مشكل من معدن البرونز، مكون من قاعدة، بدن، و شماعة .

يقوم هذا الشمعدان على قاعدة قمعية الشكل ، يرتكز عليها البدن وهو عبارة عن عمود أسطواني به حلقات بارزة تقسمه الى قسمين يفصل بينهما صحن لاستقبال الشمع الهالك يتصل هذا الصحن بباقي العمود الذي ينتهي في قمته بحوض صغير اسطواني الشكل عبارة عن مسح لوضع الشمع "الشماعة" ، ويزين هذا البدن حروز جانبية بسيطة، أما الشماعة فتحتوي على زخرفة كتابية محززة نفذت بخط النسخ تتمثل في شريط كتابي مضمونه " وقف هذا الشمعدان السيد على خزانجي في سبيل الله لجامع الجديد سنة 1161" وهذا دليل على أن هذا الشمعدان يعود لنفس الجامع الذي مازال محفوظا به.



الصورة رقم 2: تبين الكتابة الوقفية على شماعة الشمعدان نفذت بالخط النسخي وبأسلوب الحز

1_ خصائص المادة الخام: مشكل من خليط من النحاس والقصدير، ويضاف إليه أحيانا معادن أخرى مثل الفضة والرصاص لتزيد من لمعانه، يعتبر مادة مثالية بالنسبة لتقنية الصب في القالب لأنه في غاية السيولة عند الصهر، وهو صلب ومتماسك وقليل التقليس عند التجمد، وإذا خمر تخميرا صحيحا أصبح قابلا للطرق، وكون بديلا رخيصا للذهب والفضة وخاصة إذا طلي بطبقة رقيقة من هاتين المادتين¹⁷.

2_ طريقة الصنع: تم تشكيل هذا الشمعدان باستعمال تقنيتي الصب و التلحيم

أ_ تقنية الصب: تستعمل للحصول على التحفة ذات الباطن المجوف، بحيث يكون القالب مملوءا ويكون التلبيس مزودا بالنواة ذات شكل مماثل للقالب الداخلي، ولكن بحجم اصغر وهذا لإيجاد توازن بين التجويف والتلبيس والنواة، أما الطريقة الثانية فتتخصص في استعمال الشمع المذاب او الشمع الهالك لإعداد قالب مجوف

¹⁷ هربرت ريد، الفن والصناعة، أسس التصميم الصناعي، تعريب: فتح الباب عبد الحميد ومحمد محمود يوسف، عالم الكتب، القاهرة، 1974، ص 89 .

يشكل غشاؤه الداخلي الشكل العكسي للتحفة المراد صبها، ثم يوضع الشمع على هذا الغشاء وذلك بسمك يساوي سمك التحفة المراد الحصول عليها، ثم يوضع القالب تحت تأثير الحرارة فيحرق الشمع ويزول عليه، وهكذا يتولد نتيجة لذلك فراغ بين النواة والقالب، فيملأ هذا الفراغ بالمعدن المنصهر، بعد أن يبرد هذا الأخير، ينزع القالب وبالتالي نتحصل على التحفة المعدنية¹⁸.

ب_تقنية التلحيم: تستعمل لوصل القطع المعدنية ببعضها بواسطة سبيكة تنصهر عند درجة حرارة منخفضة عن الحرارة التي ينصهر عندها المعدن المراد لحامه¹⁹، وذلك بإيصال قطعة معدنية إلى الإناء، ووصلهما ببعض بعملية الطرق إلى أن تلتحم ثم يضغط بطريقة قوية مستعملا مادة البوراكس على شكل معجون²⁰، وهناك طريقة أخرى لتلحيم القطعة باستعمال خليط من الزنك والنحاس بنسب متساوية بعد تحويلها إلى مسحوق، يرش به على خط تلحيم القطعة الموضوعة على النار، وبفعل النار يذوب المسحوق ويلتصق على سطح اللسان و التقر، عندها يجذب من النار وينتظر إلى أن يبرد. ويطرق عليه بمطرقة لتوحيد سطح القطعة بحيث لا يمكن تمييز مادة اللحام إلا بصعوبة كبيرة²¹.

3_أسلوب الزخرفة: استعمل في زخرفة الشمعدان أسلوب الحز في تنفيذ الكتابة الوقفية.

عملية الحز: من أبسط الطرق المستعملة في زخرفة التحف المعدنية، تنفذ على المعدن وهو بارد²². تتم الزخرفة على الأواني المعدنية بعد تشكيلها، بأن تحز أو تحفر الزخارف على سطحها الخارجي بآلة حادة، لذلك لا يظهر بها أي تجسيم، وإنما تكون الزخارف مسطحة ثم تملأ هذه الحزوز بمادة النيلو السوداء أو المينا²³.

يتبع الفنان في تنفيذ هذه التقنية عدة خطوات بدءا بتخطيط الرسوم على القطعة المعدنية وذلك بالحفر ونزع جزء من المعدن بواسطة أزميل صغير خاص لهذا الغرض، يكون في غالب الأحيان مدبب الرأس، ويوجه ضربات خفيفة على الأزميل بواسطة المطرقة لتوضيح وإظهار ملامح الزخرفة، وبذلك تتضح الزخارف على شكل حزوز سطحية غير عميقة، فتتجلى تفاصيل الزخرفة²⁴.

¹⁸ Arseven, C. E., les Arts décoratifs turcs , P 128.

¹⁹ محمد أحمد زهران ، فنون اشغال المعادن و التحف، المكتبة الأنجلو مصرية، 1965، ص 23.

²⁰ البوراكس: عبارة عن محلول مائي مزود بالصوديوم.

²¹ Ayachi, (T), «L'artisanat du cuivre en Tunisie». in revue du centre des arts et traditions populaires, N°1, Tunis, 1968, :pp 169 -170.

²² Arseven C.E., Op. Cit., p. 19.

²³ أحمد الطائش، أحمد الطائش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة ، مكتبة زهران الشرق، القاهرة ، 200م ، ص 55.

²⁴ Arseven C.E., Op. Cit., p. 129.

3_ الدراسة التحليلية للكتابة الوقفية:

نفذت الزخرفة الكتابية باللغة العربية بأسلوب الحز بالخط النسخي المغربي و بخط واضح، حيث استعملت فيه نقاط الإعجام، نصها:

"وقف هذا الشمعدان السيد على خوجة في سبيل الله لجامع الجديد سنة 1161"

شكل رقم 1: تفرغة لنص للكتابة الوقفية

تعريف الخط النسخي:

سمي بذلك لأنه الخط الذي كانت تنسخ به الكتب قديما، و قد عرف بعدة تسميات (البديع، المقور، المدور)، و هو من الخطوط العربية الجميلة حيث أنه يجمع بين الرصانة و البساطة .

يعود الفضل الى ابن مقلة في وضع أسسه و ذلك في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وساهم بعده عدة خطاطين عرب و أتراك وصولا الى الفترة المعاصرة²⁵.

علي خزناجي: علي هو لقب صاحب الوقف.

خزناجي héznagi : توهي لرتبته المهنية وهي مرتبة سامية تتمثل في " امين الخزينة"²⁶ او مسئول المالية و هي عادة ما كانت تمنح للأتراك او الكراغلة.

تعريف الوقف: ان يوقف المسلم ماله قاصدا وجه الله تعالى، صارفا اياه في وجوه القرب وأبواب البر و الإحسان فالوقف احسان لمن هو اولى الناس بالبر و الإحسان، وذلك اما لحاجتهم ، أو للحاجة إليهم أو لخدمة الصالح العام²⁷، فهو شرعا الصدقة بالمنفعة لا بأصل المال، فأصل المال محبوس على جلب منفعة²⁸. لقد كان للوقف دوره الفعال في التنمية الشاملة في المجتمعات الإسلامية و بخاصة في النواحي الثقافية و الصحية و الاجتماعية، حيث أسهم في تكوين المجتمع الإسلامي المتراحم، كما دعم روح التكافل و التواصل بين الناس، و لقد لعب دورا هاما بالجزائر في العهد العثماني لاسيما منذ

²⁵ سامح أسامة عرفات، الفن الإسلامي، ط1، دار الإعمار العلمي للنشر و التوزيع، عمان-الأردن، 1432هـ/2011م، ص58-59.

²⁶ Mohamed Ben Cheneb, Mots turks et persans conservés dans le parler Algérien, these complémentaire doctorat ès lettres, Faculte des lettres, Alger, P38

²⁷ الادارة العامة للأوقاف الرسالة والتاريخ، ط3، الدوحة 2011، ص14.

²⁸ نفسه، ص24.

أواخر العهد العثماني، فالحكام و القائمين على الأملاك المحبسة عملوا شؤون الأوقاف فأنشأوا إدارة محلية، يتولى المفتي الأكبر أو شيخ الإسلام الإشراف عليها، و ينظر أمورها مجلس يضم الأعيان و رجال العلم و الفقهاء يعرف بالمجلس العلمي، ويشرف على مصالحها النظار، و يسهر على رعايتها الوكلاء و الشواش. وبهذه التنظيمات استكمل جهاز الأوقاف تشريعاته وأصبح عبارة عن هيئة شبه مستقلة تتوزع على عدة مؤسسات دينية و خيرية و تعليمية²⁹

لقد ارتبط جزء هام من الخدمات العمومية ، و المرافق القائمة بالمدينة ارتباطا وثيقا بمؤسسة الأوقاف، حيث شكلت مداخل الأملاك الموقوفة المصدر المالي الوحيد للإنفاق على المؤسسات الاجتماعية و الثقافية إذ لم تخصص الحكومة ميزانية معينة لذلك، فاستمرار المؤسسات الثقافية بأنواعها من مساجد وزوايا وغيرها في تأدية وظائفها الدينية و الثقافية طيلة تلك الفترة بفضل مداخل الأوقاف ، فهي المصدر الأول الذي حافظ على بقائها³⁰.

نلاحظ أن الواقع هنا نقش اسمه و المؤسسة الموقوفة لها (الجامع الجديد)، وهذا دليل واضح على اهتمام المجتمع الجزائري بمسألة الوقف، ومراعاة تسجيل اسمائهم على التحف الموقوفة، كما يفيدنا النص باسم التحفة وهو "شمعدان" الى جانب تاريخ الوقف : سنة 1161هـ/ الموافق لما بين سنتي 1747 و 1748م التي تزامن فترة حكم الدايات (و بالضبط خلال حكم الداوي ابراهيم كوشوك الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين ما بين 1745_1748م) توفي مسموما.

خاتمة:

يتبين مما تقدم ان شمعدان الجامع الجديد يمثل مظهرا من مظاهر الوقف التي كانت سائدة بالمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني على المؤسسات الدينية كالمساجد، خاصة اذا علمنا أن أوقاف هذا الجامع كانت كثيرة و تحت اشراف مؤسسة (سبل الخيرات الحنفية)، و يوحى المركز الاجتماعي الذي احتله الواقع و هو خرناجي أي "أمين المالية" الذي يشكل اعلى رتبة في الديوان الخاص بعد الداوي ، و هذا دليل واضح ان بعض الواقفين كانوا من الطبقة الحاكمة، كما يتبين من الحجم الكبير لهذا الشمعدان، انه كان يشكل احدى وسائل الانارة الرئيسية التي تساعد الثريا في تكثيف الازياء .

²⁹ د.ناصر الدين سعيدوني،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة، الجزء الثاني،المؤسسة

الوطنية للكتاب،الجزائر،19،ص 43-44.

³⁰ عائشة غطاس،الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700_1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية،منشورات ANEP، الجزائر،2007،ص82.